المحاضرة 6: التيارات والنظريات الأساسية في علم الأنثروبولوجيا (1- النظرية التطورية)

منذ نشأة الأنثروبولوجيا كعلم أكاديمي وهي تشهد ميلاد مجموعة من التيارات الفكرية التي غالبا ما قام أحدها كرد فعل على الآخر وهذا يدل على أنَ الأنثروبولوجيا حاولت منذ البداية الوصول إلى قوانين ونظريات في مجال دراسة الإنسان والثقافات الإنسانية.

إنَ موضوع الثقافة من المواضيع المعقَدة ولهذا تتنوع وتتعدَد طرق ومناهج دراسته وفي هذه المحاضرة وفي المحاضرات القادمة سنتطرق لأهم النظريات الكلاسيكية الكبرى مثل التطورية والانتشارية والوظيفية وأيضا لبعض النظريات الحديثة.

1- النظرية التطورية:

مقدمة: فكرة التطور قديمة قدم الإنسان تحدَث عنها الفلاسفة اليونان وأيضا العلماء العرب المسلمون في العصور الوسطى، غير أنَ النظرية التطوَرية عرفت الضوء مع أبحاث تشارلز داروين (1882/1802) حول أصل الأنواع وتحليله لفكرة التطور لدى الكائنات العضوية وتنص هذه النظرية على أنَ جميع أنواع الكائنات الحيَة تنشأ وتتطور من خلال عملية الانتقاء الطبيعي للطفرات الموروثة التي تزيد من قدرة الفرد على المنافسة والبقاء على قيد الحياة.

غير أنَ مجموعة من العلماء الأمريكيين صرَحت في 2009 بأنَ نظرية داروين في النشوء والارتقاء خاطئة من خلال اكتشافهم لهيكل عظمي يبلغ عمره أكثر من 4 ملايين سنة وكتب الباحثون في تقريرهم بمجلة (ساينس science) أن: **أردي** (وهو الاسم الذي أطلقوه على الهيكل العظمي) **واحدة من أسلاف البشر وأنَ السلالات المنحدرة منها لم تكن قردة شمبانزي ولا** أي **نوع من القردة *المعروفة* حاليا** (www.aljazeera.net)

النظرية التطورية أو النشوئية في الأنثروبولوجيا:

يعتبر الاتجاه التطوري من أقدم المدارس في الأنثروبولوجيا وأولَها، وتتناول النظرية التطورية التفسير العلمي لأصل الإنسان وتسعى إلى فهم كيفية تطوره كما تدرس السمات الجسدية والسلوكية للإنسان وكيف أنَها تطورت مع مرور الزمن وترى أنَ الإنسان انتقل من المرحلة الحيوانية بتصرفاته إلى المرحلة البدائية بشكل تدريجي وأنَ الإنسان ذكي منذ

نشأته فقد استخدم المعادن وحوَلها إلى أشياء مفيدة، ونفس الشيء بالنسبة للمجتمعات فهي مثل الكائنات الحية تسير من البسيط إلى المعقَد ومن المتجانس إلى لا متجانس.

الحتمية التطورية: يرى مساندو هذه النظرية أنَ التطور طبيعي وحتمي والمجتمعات لا تبقى ثابتة لأنَ هذا يعني موتها وفناءها فهي تتطور عبر مراحل متتابعة، وحسب (أوجست إيمانويل كونت) فإنَ الفكر الإنساني مرَ بثلاث مراحل هي:

ـ المرحلة اللاهوتية: وفيها ترد جميع الأشياء إلى الآلهة كغضب الله أو رضاه، وفي هذه المرحلة يتم تفسير الوجود في علاقته بالأسباب والمبادئ الأساسية.

ـ المرحلة الميتافيزيقية: وفيها يرد الأفراد الظواهر لقوى ما وراء الطبيعة والتفسيرات يتم البحث عنها في علاقتها بالأسباب والمبادئ الأساسية.

ـ المرحلة الوضعية أو العلمية: وفيها يحاول الفرد تفسير الظواهر بشكل علمي موضوعي، والاستنتاج يتم اعتمادا على الملاحظة.

روَاد النظرية التطورية:

1ـ جون باتيست لامارك: درس (لامارك) الكائنات الحيَة دراسة تشريحية وتوصَل إلى نظرية (السلَم التقسيمي) فقد وجد أنَ جميع الكائنات تتطور بشكل تدريجي من أبسط الكائنات الحية وهي الكائنات لا فقارية وتقع في أسفل سلَم التطور إلى أرقاها وهي الثديات وهي أذكى الحيوانات، ويعتقد (لامارك) أنَّ منبع الحياة في البحر وليس في اليابسة وأنَ أول الكائنات الحيَة ظهرت بالماء، كما تحدث عن تأثير البيئة في اكتساب صفات جديدة لم تكن في الأسلاف ويلخص ما توصَل إليه في مجمعة من النقاط أهمها:

ـ تتوجه الكائنات الحيَة ومكوناتها نحو الازدياد في الحجم.

ـ إذا استخدم عضو من الأعضاء بشكل مستمر ينتج عن ذلك زيادة في حجم ذلك العضو بينما العضو الذي لا يستعمل يضمر في النهاية.

ـ إنَ تكوين عضو جديد يعبر عن حاجة حيوية جديدة لهذا العضو.

ـ التغيرات التي تحدث للأعضاء يورثها الآباء للأبناء وهكذا ينتج تغيَر في شكل الأبناء مع توالي الأجيال.

2ـ آن روبرت جاك: 1781/1717 من منطلق التركيز على نموذج التدرَج الثقافي طوَرت هذه الباحثة نظرية شاملة عن التطور الثقافي، وتوصلت إلى أنَ عقل الإنسان في

كل مكان يستطيع الاختراع وتحقيق إنجازات ثقافية ولكن الطبيعة تهيء للبعض الظروف المناسبة دون البعض الآخر مما يؤدي إلى تفاوت المستويات بين الثقافات المختلفة، كما ترى أنَ البشرية مرَت بنفس مراحل التطوَر وأنها سارت في نفس طريق النمو.

3- هنري لويس مورغان: 1881/1818 في كتابة (المجتمع القديم) قسَم مورغان مسار تطوَر البشرية إلى ثلاث حقب هي الهمجية ثم البربرية ثم مرحلة الحضارة وقسم كل مرحلة إلى ثلاث مراحل فرعية هي الدنيا والوسطى والعليا وربط كل مرحلة باختراع معين كان منتشرا في تلك المرحلة واعتبر الاختراعات هي العوامل المساعدة على التطور والمرور من مرحلة إلى أخرى.

4 ـ تايلور: اهتم بشكل أساسي بالدين وكيفية تطوره منطلقا في ذلك من فكرة ثنائية الجسد والروح وأنَ الإنسان البدائي كان يرى أشياء في أحلامه استلهم منها فكرة ازدواجية الحياة وتطورت هذه الفكرة فرأى الإنسان أن له قرين ثم بعد ذلك اعتقد في الأموات ثم الطبيعة (أي أنَ لكل ظاهرة طبيعية بعد غيبي أو روحي) ثم بعد ذلك ظهرت فكرة الآلهة ثم جاءت فكرة توحيد الإله، حسب تايلور إذن الإله الواحد هو المطاف الأخير الذي انتهى إليه التفكير الديني عبر العصور.

5 ـ جيمس جورج فريزر: 1941/1854وهو باحث في الآداب والحضارات القديمة اهتم بدراسة تطور الديانات وبعض المفاهيم مثل الأضحية والقربان والموت والخلود وغيرها، وضَح في كتابه (الغصن الذهبي) أنَ كثير من الأساطير والشعائر الدينية يعود أصلها إلى ما قبل التاريخ وأنَ تطور العقل البشري مرَ بثلاث مراحل هي السحري البدائي والدين والعلم.

6- هربرت سبينسر: 1903/1820 طرح فكرة تطوَر المادَة عبر انتقالها من مرحلة متجانسة إلى مرحلة غير متجانسة وطبق هذا الطرح على المؤسسات البشرية محاولا إعطاء تفسير تاريخي للمراحل التي مرت بها البشرية عبر اكتشاف القوانين التي أتاحت الانتقال من مرحلة إلى أخرى، ويرى سبينسر أن ننظر للمجتمع بوصفه جهازا عضويا لأنَه ينمو مثلما ينمو جسم الإنسان وتقسيم العمل داخل المجتمع يشبه تقسيم العمل بين أعضاء الجسم كما أنَ تكوين الجسم والمجتمع يكون بسيطا في الأول ثم يتعقَد نتيجة لتمايز الأجزاء وتكاملها.

تفسير الثقافة من منظور النظرية التطورية:

فسرت الدراسات التطورية الثقافة من خلال التأكيد على مجموعة من المبادئ والقوانين أهمَها:

ـ كل الثقافات الإنسانية مرَت بمراحل تطوَر حتمية ومحدَدة.

ـ التسليم بظاهرة التغيَر الثقافي ويعود السبب إلى اختلاف مراحل تطور الثقافات الإنسانية أي أنَ التغيَر والثبات من السمات الأساسية في كل الثقافات.

ـ إنَ عناصر الثقافة ومكوناتها قابلة للاستعارة والانتقال من ثقافة إلى أخرى.

ـ إنَ اكتساب السمات الثقافية يعتمد على القدرات العقلية للإنسان ووحدة تكوينه الفيزيولوجي.

ـ إنَ الثقافات تتطور ذاتيا وتنتقل من مرحلة إلى أخرى عندما تتوفر العوامل والشروط الكافية لذلك.

ـ إنَ الجنس البشري يملك نفس الوحدة السيكولوجية.

ـ إن عوامل التغير الثقافي تنمو ذاتيا وتتطور بغض النظر عن الزمان والمكان.

What is cultural evolution?

Cultural evolution, sometimes called cultural evolutionism, is a theory in the field of anthropology, the study of human cultures around the world. The theory was originally developed as a way to explain how cultures evolve over time. According to cultural evolution anthropology theorists, cultures always start out in a state of relative simplicity, moving through several predictable stages on their way to complexity and modernity.

Cultural evolution was a major theory in the 19th century, but it fell out of favour in the early 20th century as many of the ideas in

cultural evolutionism came to be understood as oversimplifications of human cultures. Many of the earlier ideas of cultural evolution theory were ultimately dismissed as racist and outdated. Staring in the 1930s, new theorists proposed neoevolutionists theories that included some parts of cultural evolution theory but adapted it to incorporate more nuance (Sasha Blakeley, Jessica Whittemore, **what is cultural evolution**? 27/02/2023, study.com).